الفصل السابع عشر

علم اجتماع الفن*

يجسم الفن طائفة واسعة من التجربة الإنسانية ، والعواطف ، والمعتقدات والأفكار ، ويعبر عنها فى صور جمالية تخاطب الحواس وتوقظ الاستجابات العاطفية والفكرية فى العقل البشرى . وربما أمكننا – لأغراض الدراسة – تقسيم هذا الميدان من ميادين الثقافة إلى الفنون الجميلة : وهى الموسيقى ، والأدب ، والفنون المرئية ، والفنون المركبة Combined Arts كالرقص ، والمسرح ، والأوبرا ، والفنون التطبيقية Applied Arts التى تتضمن بعض الأنواع الخاصة كالخزف ، وتصميم النسيج والرسم الدقيق ، وعلى الرغم من أن هذا التقسيم تعسفى بعض الشئ ، إلا أنه مفيد للدارس وينبهه إلى خطورة سحب التعميمات الواسعة المستخلصة من دراسة فن من الفنون على ميدان الفن بأكمله .

كما أنه على الباحث فى هذا الميدان أن يسلم بوجود وبأهمية الفنون الواسعة الانتشار كما تتمثل فى السينما ، وموسيقى الجاز ، وقصص المجلات والتمثيليات الإذاعية والتلفزيونية . وتقدم هذه الأنواع من الفنون إلى الجمهور عن طريق وسائل الاتصال الجمعى . وتستهدف التسلية فى المقام الأول . إلا أنه قد يحدث فى بعض الأحيان أن تحاول فنون وسائل الاتصال الجمعى عرض أهمية التجربة الإنسانية وتقديرها ، وذلك من خلال استخدام بعض الصور الجمالية ، التى تنفرد ببعض منها ، ولاشك أن هذه الفنون الواسعة الانتشار تؤثر على الجمهور تأثيرًا كبيرًا . وهى جديرة بدراسة منهجية من جانب الدارسين فى فروع مختلفة .

والدراسة السوسيولوجية للفن حديثة نسبيًّا ، ومازالت منجزاتها متواضعة حتى وقتنا هذا . ويمكن من بعض النواحى وصف هذا الميدان – على أفضل وجه – بأنه وجهة نظر أو موقف معين تجاه الفن ، أكثر منه ميدانًا معترفًا به من ميادين الدراسة يتضمن موضوعًا مستقلاً ، ويستخدم

---

* ترجم هذا الفصل الدكتور محمد الجوهرى عن مقال :

James Barnett, "The Sociology of Art" in : Sociology Today, by Merton and others (eds.) Harper Torch book edition, New York, 1965, pp. 197-214.

مناهج بحث معترفًا بها ، ويستند إلى إطار مرجعى مستقر ، ونلاحظ بصفة عامة أن عالم الاجتماع الذى يدرس الفن لم يتميز بعد تميزًا واضحًا – من حيث الوظيفة الدراسية – عن المؤرخ الاجتماعى ، أو مؤرخ الفن ، أو الناقد الفنى ، وهذه حقيقة سليمة رغم أنه صدرت فى السنوات الأخيرة بعض الدراسات السوسيولوجية الممتازة فى الفن .

وقد يتساءل الإنسان بحق لماذا يجب على علماء الاجتماع دراسة الفن ، بالنظر إلى أهميته – الواضح أنها محدودة – للمجتمع المعاصر ، والصعوبات الخاصة التى يخلقها هذا الميدان للباحث ، وكذلك الحقيقة التى مؤداها أن هذا القسم من الثقافة كان على طول تاريخه موضوع دراسات مستفيضة من جانب مؤرخ الفن وفيلسوف الفن . وترى ماهى المساهمات التى يأمل عالم الاجتماع أن يقدمها فى هذا الميدان ؟

إن الإجابة المرضية على هذا السؤال يجب ألا تقوم على إمكانية تقديم إضافات إلى المعلومات القائمة عن الفرد – برغم أن هذا أمر مرغوب فيه تمامًا – ولاعلى مجرد الاستجابة لتيارات الموضة الفكرية التى تفرض الاهتمام بالفن كموضوع من موضوعات الدراسة السوسيولوجية . وإنما يستند تبرير الدراسة السوسيولوجية للفن إلى أنها قد تساهم فى النهاية فى حل بعض المشكلات السوسيولوجية الفنية ، كطبيعة التفاعل الاجتماعى ، وتكون الأشياء الجمعية المشتركة والحفاظ عليها ، وأساليب التغير الثقافى ، ويمكن لدراسة الفن – بجميع أنواعه – أن تلقى ضوءًا كبيرًا على هذه الظواهر الاجتماعية لأن وجودها يعتمد على نقل المعانى ، والفن مهتم فى جوهره الحقيق بالتعبير عن العواطف والأفكار ونقلها فى صور رمزية . ولاشك أن دراسة مايجب على الفنان أن « يقوله » وكيف يقوله ، وكيف تستقبل رسالته (من جانب الجمهور) يمكن أن تزيد فهمنا لعملية الاتصال الاجتماعى الواسعة التى تجعل المجتمع شيئًا ممكنًا .

وعلاوة على هذا يمكن أن يكون الفنان المبدع نفسه بؤرة مفيدة لدراسة التغير الاجتماعى والثقافى . لأنه غالبًا مايكون حساسًا بدرجة زائدة لما يعتور النظام الاجتماعى من توترات ، ومن الراجح تمامًا أن إنتاجه سوف يعكس إحساسه هذا . وهكذا يمكن أن تساهم الدراسة السوسيولوجية للفن – إذا أخذناها بمعناها الواسع لتشمل الفنان وجمهوره والإنتاج الفنى أيضًا – فى فهم كل من البناء الاجتماعى والتغير الثقافى . على أنه يجب التسليم بأن هذا هدف بعيد المدى لايمكن الوصول إليه إلا بعد التوصل إلى مجموعة من الأهداف الأكثر تواضعًا .

ورغبة فى توسيع النظرة إلى الموضوع سوف نعمد فى هذا المقال إلى عرض سريع لتاريخ الاشتغال السوسيولوجى بالفن ، ومناقشة الوضع الراهن للدراسات فى هذا الميدان ، واقتراح

بعض الاتجاهات الجديدة للبحث . وسيقتصر العرض التاريخى على بعض الشخصيات الهامة القليلة التى بدأت دراسة الفن وتفسيره من وجهة نظر سوسيولوجية متميزة . وهذا التحديد أمر ضرورى لأن المؤلفات الداخلة فى هذا النطاق من الوفرة بحيث لاتسمح بمناقشة شاملة فى هذا المقام . وسوف تقتصر مناقشة الدراسات المعاصرة أساسًا على تلك التى تستهدف دراسة الفن من وجهة نظر علمية ، لاوجهة نظر إنسانية عامة . وسوف يحتم هذا إغفال الإشارة إلى بعض المؤلفات المشهورة مثل « قلعة أكسيل » من تأليف أدموند ويلسون . * و « التمثيل بالإشارات » من تأليف أريك أورباخ * * .

Edmund Wilson, Axels, Castle.
Erich Auerbach, Mimesis

الخلفيات الفكرية لعلم اجتماع الفن

يمكن العثور على الجذور الفكرية لعلم اجتماع الفن فى كتابات عدد من المؤلفين الأوربيين الذين عاشوا فى القرن التاسع عشر. ونجد كل الكتابات عن بدايات التفسير الاجتماعى للفن تذكر – بلا استثناء – مؤلفات مدام دى ستيل De stael وخاصة كتابها بعنوان : « عن الأدب من حيث علاقاته بالنظم الاجتماعية [١] » وقد نشر هذا الكتاب عام ١٨٠٠ وهو يتناول علاقة العنصر Race والمناخ بالأساليب الأدبية ، وكذلك آثار المراة والدين على الفن .

وقد أكدت مدام دى ستيل – تحت تأثير مذهب التقدم والإيمان بنظرية المراحل فى النمو الاجتماعى – أن أدب أى مجتمع من المجتمعات يجب أن ينسجم مع المعتقدات السياسية السائدة فى ذلك المجتمع وكانت ترى أن الروح الجمهورية الصاعدة فى السياسة الفرنسية يجب أن تنعكس فى الأدب بتقديم شخصيات المواطنين والفلاحين فى أعمال جادة – كالتراجيديا مثلا – بدلا من قصرها على الكوميديا ، كما ترى أن الأدب يجب أن يصور التغيرات الهامة فى النظام الاجتماعى ، وخاصة تلك التغيرات التى تدل على الحركة نحو أهداف الحرية والعدالة . . وقد كان لكتاباتها فى هذا الموضوع تأثير واسع خلال حياتها ولمدة عشرات من السنين بعد وفاتها .

وتقدم لنا كتابات كارل ماركس ابتداء من عام ١٨٤٥ قضية أكثر تحديدًا عن العلاقة بين الفن والمجتمع [٢] . ويرى ماركس أن نظام الإنتاج الموجود فى وقت معين يحدد مضمون الفنون وأسلوبها فى ذلك المجتمع ، واستنادًا إلى هذا النوع من التحليل ، علاوة على إيمانه بمبدأ حتمية الصراع بين الطبقات ، يرى ماركس أيضًا أنه حتى التفضيل الفنى يختلف تبعًا للوضع والنظرة الطبقية . وهكذا نجد مثلا أنه بينما كان الفلاح الإنجليزى يغنى ويرقص للأغانى الشعبية كانت الأرستقراطية تحتقر هذا النوع من الموسيقى مفضلة عليه الأنشودة الغزلية [٣] .

ونلاحظ أن تصوير ماركس للفروق فى اتجاهات الطبقات المختلفة إزاء الأنواع الموسيقية صحيح ، ولكن تفسيره لأسباب هذه الفروق لايرضى إلا أولئك المؤمنين بفلسفته العامة فى المجتمع والتغير الاجتماعى ، ومع ذلك فقد كان التحليل الماركسى للعلاقات المتبادلة بين الفن والمجتمع ذا قيمة كبيرة لأنه حدد ذلك الجانب الخاص من المجتمع الذى يمكن أن يؤثر فى فنونه ، وأكد وجود

تبادل دينامى مستمر بين جميع أجزاء ذلك المجتمع ، وقد تبنى حشد كبير من الباحثين – الذين يمثلون درجات متفاوتة من الإيمان الفكرى بعلم الاجتماع الماركسى – هذه النظرة فى دراسة الفن وقد كانت آراؤهم مؤثرة إن لم تكن قاطعة تمامًا .

من هذا مثلا نجد أرنست جروس Grosse يتبنى التفسير المادى للتاريخ فى دراسة الفن القديم ، وقد عرض جروس فى كتابة بعنوان « بدايات الفن » – الذى صدر عام ١٨٩٣ – القضية التى مؤداها أن الفن يعكس مرحلة التنظيم الاقتصادى يعيش فيها المجتمع . وكتب حول هذه النقطة يقول : « ..... إن العرض الحى – بالصور والتماثيل – للرجال والحيوانات المتوحشة التى تتميز بها الشعوب التى تعيش على الصيد تتمثل لنا بصفة عامة كمنجزات جمالية للكفاءات التى نماها بالضرورة الكفاح من أجل البقاء ، ووصل بها إلى درجة الكمال عند شعوب الصيد بصفة خاصة »[٤] . كما يناقش جروس تغير وظيفة الفن من الصور القديمة حتى الحضارات الحديثة . وقد قدم الرأى الذى مؤداه أن أهم وظيفة اجتماعية للفن عند الشعوب البدائية هى التوحد بالمجتمع . بينما يستهدف الفن عند الشعوب المتحضرة – علاوة على هذا – إثراء العقل والعواطف والسمو بهما . وقد نجح فى أن يستخدم فى دراسة هذا الموضوع المعقد مناهج علم الأنثولوجيا المقارن بدلا من المناقشات الفلسفية الواسعة التى كان يلجأ إليها ديبوس Dubos وهيردر Herder وغيرهما .

ولا يمكننا أن نتناول بمثل هذا التفصيل فلسفة الفن عند هربرت سبنسر Spencer [٥] وهو الذى استخدم نظريته التطورية العامة فى تفسير أصل الإحساس الجمالى واستمراره . ويرى سبنسر أن الكائنات البشرية تتصف بالقدرة على تجميع قدر من الطاقة أكثر مما تحتاجه للبقاء . وقد أصبحت هذه الطاقة الزائدة – على طول مراحل التطور – أساسًا للقيام بنشاطات متنوعة فى أوقات الفراغ تكفل المتعة دون الاستفادة بها . وربما اتصفت هذه النشاطات بخاصية الجمال . التى يمكن تسميتها – كما يرى كالين Kallen . « الاستخدام الميت dead use [٦] ولما أصبح التكيف الاجتماعى أكثر كفاءة ، ازداد تراكم الطاقة غير المستعملة المتاحة للاستخدام فى التعبير الفنى . وهكذا يفسر سبنسر أصل الفن فى ضوء الآثار المحددة لمرحلة معينة من مراحل التكيف الاجتماعى . إلا أن نظريته هذه لاتفسر إلا أصل الفن كجزء من الثقافة ، ولاتمكن الدارسين من تفسير أوجه الاختلاف فى شكله ومضمونه ولكنها أدت – على أى حال – إلى تنشيط معالجة الفن من وجهة نظر طبيعية .

ويعتبر هيبوليت تين Taine من رواد علم اجتماع الفن المعاصر الأبلغ تأثيرًا وقد ظهر كتابه

بعنوان : « تاريخ الأدب الإنجليزى » لأول مرة فى عام ١٨٧١ . وقد أبدى رأيًا مؤداه أن : « العمل الفنى يتحدد بواسطة جملة من العوامل تمثل الحالة العقلية العامة ، والظروف المحيطة »[٧] . وقد بدا واضحًا من تطبيق « تين » لقضيته هذه ومناقشته التفصيلية لها أنه يعزو أهمية خاصة إلى الوسط الأجتماعى أو البيئة التى تخلق « الحالة العقلية » اللازمة للإبداع الفنى .

وقد حاول « تين » تفسير هذه الحالة العقلية من خلال تطبيق معادلة تحليلية – هى « العنصر – البيئة – الزمن » على بلاد مختلفة . ويشمل مصطلح عنصر race مجموعة من الأفكار عن الوراثة ، والأرض ، والمناخ . وتضم البيئة العوامل الاجتماعية والاقتصادية ، والثقافية ، بينما يركز الزمن الانتباه على جوانب كل من الاستقرار والتغير فى الحضارة ، وإذا ما استخدمت معادلة تين بقدر من الحصافة والبراعة كانت مفيدة فى إلقاء ضوء كبير على المشكلات الفكرية التى يواجهها أولئك الذين يتناولون تفسير العلاقات بين الفن والمجتمع .

وقد كان « تين » من أوائل النقاد الذين تناولوا العلاقات بين الفنان ومجتمعه ، وبينه وبين أقرانه والطرق التى يؤثر بها الجمهور فى الحصيلة الإبداعية للفنان . ويصف ليفين Levin تأثير تين على التفسير الاجتماعى للأدب على النحو التالى : « إن كتاب تين تاريخ الأدب الإنجليزى يتخلص مرة واحدة من الفكرة الخاطئة التى ترى أن الكتب تخرج إلى الوجود كما تتساقط النيازك من السماء . وقد يمكن بعد إغفال الأساس الاجتماعى للفن . ولكن يصبح من الصعب إنكاره تمامًا »[٨] .

وقد طرح عالم فرنسى آخر من علماء القرن التاسع عشر – هو جان مارى جيو Guyau – فى كتابه : « الفن من وجهة نظر علم الاجتماع » (الذى صدر عام ١٨٨٧) القضية التى مؤداها أن التكامل الاجتماعى يتجسد فى الأعمال الفنية ، ويرى « جيو » أن الفن العظيم اجتماعى بالضرورة وأن الفنان المنعزل الذى يبدع لاستمتاعه الخاص كان دائمًا فنانًا منحطًا . وترى نظرية جيو فى الفن كما أشار كالين أن « صور الفنان ، والأحاسيس التى تثيرها ، والأشياء التى تحركها فى الذاكرة ، والعواطف والأحكام التى تستثيرها ليست سوى رموز وتواصلات للحياة الجمعية »[٩] .

وتتفق هذه النظرية فى التفسير العلمى مع التراث الساد لعلم الاجتماع الفرنسى الذى يؤكد الأهمية الأولية للتضامن الاجتماعى . والإجماع والضمير الجمعى ، إلا أن كتاب جيو لايقدم إلا وسائل فكرية قليلة لدراسة العلاقات بين الفن والمجتمع ، على الرغم من أنه أمدنا بتحليلات طريفة للأفكار الاجتماعية المتضمنة فى مؤلفات فيكتور هوجو . والفريددى فينى de vingny ،

وألفريد دى موسيه وغيرهم من كبار الأدباء الفرنسيين ومع ذلك فإن كتابات جيو عن علاقة الفن ببيئته الاجتماعية قد دعمت اهتمام العلماء الفرنسيين بهذا الموضوع المعقد .

يتضح مما سبق أن عددًا من الشخصيات الهامة المؤثرة قد كابدت خلال القرن التاسع عشر معالجة موضوع العلاقة بين الفن والمجتمع [١٠] وقد تفاوتت إجاباتهم ، ولكن أحدًا منهم لم ينكر أن هناك علاقات متشابكة بين كل من الفن والمجتمع ، والثقافة على الرغم من أن طبيعة هذه العلاقات كانت غامضة عندهم . وقد كانت غالبية هذه المناقشات فلسفية وجدلية ، على الرغم من أن تين وجروس – على الأقل – قد حاولا جاهدين إجراء دراسات موضوعية . وقد كان لهؤلاء الكتاب فضل طرح السؤال العام ، وتقديم بعض الفروض المعقولة ، ولكنهم تركوا المسائل معلقة ، وكان على دارسى القرن العشرين أن يطرقوا المشكلة من زوايا جديدة ، ويتناولوها بمناهج حديثة .

الدراسات المعاصرة

استمر اهتمام علماء الاجتماع – خلال القرن العشرين – بالعلاقات بين الفن والمجتمع ، وقد أجرى العلماء فى أوربا والولايات المتحدة دراسات نظرية وبحوثًا متخصصة فى هذا الميدان . وأخرج العلماء الأوربيون مؤلفات كثيرة مثل : دراسة ماكس فيبر Weber : – « الأسس العقلية والاجتماعية للموسيقى » ،* وشارل لالو Lalo « الفن والحياة الاجتماعية » ،** وأرنست كون برامشتدت Kohn-Bramstedt بعنوان : « الأرستقراطية والطبقات الوسطى فى ألمانيا »*** وليفين شوكنج Schucking « علم اجتماع التذوق الفنى » .**** وتبرز هذه المؤلفات وغيرها الميل التقليدى عند العلماء الأوربيين إلى تناول المسائل من وجهة نظر تاريخية. وكتاب « لالو » وهو الوحيد من بين هذه المؤلفات الذى يقدم إطارًا لوضع علم اجتماع شامل للفن . ويدرس لالو – وهو من علماء الجمال – الفن من حيث علاقته ببيئته الأجتماعية مع توجيه عناية خاصة للنظم الدينية ، والعائلية والسياسية ، كما يناقش أوجه الاختلاف بين الفن الشائع وفن جماعات الصفوة ، وحلل كذلك الدور الاجتماعى للفنان ومن سوء الحظ أن دراسته لم تكن تتصف باطراد التفكير ، ولم تقدم إلا القليل فيما يتعلق بمناهج أو نماذج البحث . وبرغم ذلك

---

* Max Weber, The Rational and Social Foundations of Music

** Charles Lalo, L'Art et la vie Sociale.

*** Ernst Kohn—Bramstedt, Aristocracy and the Middle Classes in Germany.

**** Levin Schucking, The Sociology of Literary Taste.

فؤلف لالو هذا يعتبر فريدًا فى هذا الميدان وأبرز مايميزه أنه من تأليف شخص لم يكن عالم اجتماع محترفًا (١١) .

ولانستطيع هنا أن نقيم بالتفصيل إنتاج العلماء الأوربيين فى ميدان علم اجتماع الفن وذلك لجملة من العوامل منها : ضيق المكان ، وعدم توصلنا إلى بعض المؤلفات وصعوبة التعرض لمؤلفات منشورة بأربع لغات مختلفة على الأقل (١٢) . وإزاء هذه الصعوبات ، سوف تركز هذه المناقشة على عدد من الدراسات التى ألفها علماء الاجتماع الأمريكيون الذين اهتموا بشكل مباشر بتطوير مناهج جديدة للبحث فى علم اجتماع الفن .

ويعتبر كتاب سوروكين Sorokin الديناميات الاجتماعية والثقافية* » المجلد الأول بعنوان : تقلبات الأشكال الفنية (١٣) أكثر المؤلفات طموحًا وشمولا فى هذا الميدان ، ويتميز بأنه يربط بين وجهات نظر عالم الاجتماع . ومؤرخ الفن ، وفيلسوف الفن . وقد درس سوروكين الفن بأشكاله التاريخية المتنوعة وذلك لاختبار نظرية عامة فى التغير الاجتماعى والثقافى . وقد عرض فى مجلدات أخرى من هذا المؤلف الضخم لشواهد التغير فى الدين . والقانون ، والعلوم والأخلاق وذلك فى محاولة لتمييز الأنماط التى يمكن اعتبارها قوانين أو مبادئ عامة عن تلك التى يسميها العملية الثقافية الاجتماعية . فهو يدرس الفن من أجل التوصل إلى مفاتيح العمليات العامة للتكامل الثقافى والتغير الثقافى لامن أجل التعرف على علاقة الفن بالنظام الاجتماعى بطريقة وظيفية عليه ، ومن الواضح أن دور فيلسوف الفن قد طغى على معالجة سوروكين للفن فى هذا الكتاب .

وقد خلص سوروكين من دراسته لطائفة واسعة من مواد التاريخ الفنى فى ميادين الأدب ، والموسيقى والرسم ، والنحت والعمارة إلى أنه ليست هناك خطوط مستقيمة أو منحنيات دورية فى التطور بحيث تسمح لنا أن نصور بدقة التغيرات الطويلة المدى فى مضمون وأسلوب الفنون المختلفة حتى ولافى داخل حضارة واحدة . بل إن سوروكين يعتقد أنه قد اكتشف شواهد غزيرة على أن الفنون المختلفة تتقلب على مدى التاريخ بين نوعين استقطابين تصوريين من الفنون هما : عقلى Ideatinonalوحسى Slalter ويشير النوع الأول إلى الفن الذى يجسم الخصائص الدينية والمتسمية إلى عوالم أخرى . بينما يشير الثانى إلى الفنون العلمانية المحسوسة . وقد استخدم هذه الأنماط التصورية فى تفسير التغيرات فى الأسلوب فى الرسم والموضوعات وما إلى ذلك كجزء من تأرجح بعيد المدى فى البندول التاريخى الثقافى لابالإشارة إلى ظروف مباشرة يمكن أن تكون أسبابًا لهذا

* Pitirim Sorokin, Social and Cultural Dynamics. Vol. I Fluctuations of Forms of Art.

التغير فى مجتمع معين فى وقت معين . وقد تعرض سوروكين لحقبة هائلة تمتد على طول خمسة وعشرين قرنًا من التاريخ الفنى وقد أقره المتخصصون فيما يتعلق بكثير من تصوراته للتغير فى بعض الفنون . بينما أبدوا بعض التحفظات فيما يتعلق بالنتائج التى توصل اليها فى البعض الآخر . وخاصة فى فن العمارة .

أما فيما يتعلق بعلم اجتماع الفن فيبدو أن مؤلف سوروكين هذا يمدنا بحشد من المعلومات التاريخية المفيدة عن الفنون يمكن أن تقدم فروضًا لعالم الاجتماع الذى يجب عندئذ أن يصمم البحث فى مشكلات معينة محددة معتمدة على فرض معين ، وعلاوة على هذا فإن المادة المفصلة التى قدمها سوروكين عن موضوعات مثل تغير نسب الطبقات الاجتماعية والنوع (ذكور أو إناث) فى التصوير الأوربى على مدى القرون يلفت الاهتمام إلى مشكلة جديرة بدراسة أكثر تركيزًا ، من هذا مثلا أن عالم الاجتماع الذى يحاول فهم تأثير القوى الاجتماعية والثقافية على مضمون التصوير سوف يحتاج إلى أن يقصر ميدان بحثه زمانيًا ومكانيًا وإلى أن يدرس البناء الطبقى القائم ، والجمهور الفنى المهتم بالتصوير والوضع الاجتماعى للرسام ، ومدارس فن الرسم المسيطرة . ولاشك أن الحقيقة التى مؤداها أن صور النساء تدر أسعارًا أعلى من صور الرجال – التى يرسمها نفس الرسام – توحى إلى عالم الاجتماع بمشكلة جديرة بالدراسة . وسوف يتضمن هذا دراسة مركزة لقسم صغير من ميدان فنى واحد من الميادين التى تعرض لها سوروكين .

واتفاقًا مع الطابع الإمبيريقى للعلوم الاجتماعية الأمريكية ، قدم علماء الاجتماع أبرز إنجازاتهم فى وضع وتطبيق مناهج بحث فى دراسة مشكلات محدودة النطاق ، وهناك عدد قليل من الدراسات الهامة من هذا النوع التى تثير الاهتمام ، من هذا مثلا مؤلف موللر Mueller عن : « الأوركسترا السيمفونى الأمريكى » الذى يعتبر نموذجًا ممتازًا لأسلوب معالجة نوع معين من التنظيم الفنى . درس فيه تفاعل العوامل الجمالية مع البيئة الاجتماعية والثقافية دراسة تاريخية ، كما تم تحليل هذا التفاعل فى ضوء الوظائف الاجتماعية المعاصرة ، وقد أوضح موللر تأثير العوامل الاجتماعية على الأوركسترات الرئيسية فى الولايات المتحدة كما تتضح فى برامجها المتغيرة . وفى أنواع علاقاتها المتباينة مع النقابات ومع الأجهزة الإدارية ومجالس الإدارة وتكيفها مع الأساليب الشعبية لجمهورها وقد أثبتت دراسته أن العوامل الاجتماعية وشخصية قائد الأوركسترا . . واختلاف نظام جلوس أقسام الأوركسترا تؤثر على الطابع الجمالى للأداء الأوركسترا لى كما تؤثر – تمامًا – المهارة الفنية للقائد والموسيقيين .

ولاتلقى دراسة موللر الضوء على ماتكشفه فقط من التطور الاجتماعى للأوركسترا السيمفونى

وإنما أكثر من ذلك على ماتساهم به فى زيادة فهمنا لتكون الذوق الموسيقى وقد توصل فى هذا المؤلف إلى أشياء ملموسة – اعتمادًا على مواد البحث الخاصة – بشأن نقطة صغيرة من الموضوع الكبير الخاص بكيفية تأثير المجتمع فى الفن ، ويمكن أن يساهم مزيد من الدراسات من هذا النوع فى تمكن علماء الاجتماع من نقل هذا الموضوع من نطاق التأملات إلى نطاق الشواهد والبراهين .

وتمثل رسالة الدكتوراه التى تقدم بها روبرت ويلسون Wilson بعنوان : « الشاعر الأمريكى دراسة لدوره » نقطة أخرى بعيدة عن النوع التقليدى من الدراسة فى علم اجتماع الفن [١٥] . وقد اعتمد ويلسون على الاستبارات ونتائج الاختبارات الإسقاطية فى تحليل أربعة وعشرين من الشعراء الأمريكيين الناجحين . وذلك فى محاولة لاستكشاف طبيعة وأبعاد دور الشاعر كفنان مبدع وكعضو فى المجتمع الأمريكى المعاصر .

وخلص إلى أن دور الشاعر فى المجتمع الأمريكى لاينتظم فى قالب معين وأن الشاعر يعانى من الإهمال لامن العداوة فى ظل النظام الاجتماعى المعاصر . ومن أطرف النتائج التى توصل إليها ويلسون ذلك الذى سماه القسم المهنى الفنى من دور الشاعر الذى يسيطر على جميع جوانب سلوكه الأخرى ، أوكما جاء بقلم المؤلف نفسه : « عندما يسلك الشاعر كعضو فى مجتمع ، فإن جزءًا كبيرًا من الدور الذى يضطلع به يتحدد من خلال الطبيعة الشاملة لمهنته » ، وتقدم هذه الدراسة – من خلال الأمثلة – أسلوبًا لدراسة الفنانين المبدعين فى ميادين أخرى ، كما تمدنا بإطار فكرى مفيد لتنظيم وتفسير النتائج .

وتوجد محاولة مشابهة لاستكشاف العالم الاجتماعى والسيكولوجى لنوع آخر من الفنانين المبدعين فى رسالة دنيسون ناش Nash للدكتوراه بعنوان : « المؤلف الموسيقى الأمريكى » ، كما تناول فى مقال لاحق التنشئة الاجتماعية للمؤلف الموسيقى الأمريكى [١٦] وتعتمد دراسة ناش على معلومات عن الشخصية وعوامل الخلفية الاجتماعية – التى توصل إليها باستخدام اختبارات رورشاخ واستبار ثلاثة وعشرين من كبار مؤلفى الموسيقى الجادة الأمريكيين وهى تتضمن كذلك تحليلا للمؤلف الموسيقى إزاء أزمة المجتمع الأمريكى المعاصر . وتحلل وضعه الاجتماعى . ومايلقاه من مكافأة . وإشباع وإحباط .

وقد وجد ناش أن المجموعة التى درسها من المؤلفين الموسيقيين الأمريكيين المعاصرين ليست راضية عن دورها الاجتماعى ، وأنهم مستاءون من ضرورة منافقتهم للمديرين ، وقواد الأوراكسترا والعازفين وغيرهم حتى تتاح لمؤلفاتهم الموسيقية فرصة العرض . وتعتبر المادة الوصفية التى قدمها ناش للدور الحالى للمؤلف الموسيقى – وخاصة فيما يتعلق بتكيفه مع الوضع الراهن

ومايلجأ إليه من تطويع الدور – تعتبر ذات قيمة كبرى لعلماء الاجتماع لأنها تقدم والدليل على التأثير الأجتماعى الفعال فى العمل الفنى عند مصدره . أعنى فى مبدعه .

وعلى الرغم من أن معظم البحوث التى أجريت فى علم اجتماع الفن قد تناولت إما الأدب أو الموسيقى إلا أن هناك دراسة حديثة أجراها كولاجا Kolaja وويلسون واستخدما فيها مادة من التصوير والشعر . ويمثل هذا التنوع موقفًا أوليًا للاختبار يمكن أن تدرس فيه استجابة الأشكال الفنية المختلفة لنفس المجموعة من المؤثرات الاجتماعية . ويختبر المؤلفان احتمال اتصاف أنواع مختلفة من وسائل التعبير الفنى فى مجتمع معين بخصائص ثقافية معينة مشتركة فى وقت معين . وقد حلل الباحثان – مستقلين عن بعضهما – عينة كبيرة من الرسومات وقصائد الشعر التى أبدعها فنانون أمريكيون فى نفس العام مع توجيه اهتمام خاص لتصوير العلاقات الاجتماعية فى كلا النوعين من الفن ، وقد خلصا إلى أن الرسامين والشعراء – فى العينتين اللتين درساهما – قد تصورا « الفرد » على أنه معزول إلى حد كبير يفتقر إلى علاقات مع الأشخاص الآخرين . وقد أوضح الفارق الكبير بين إدراكهم للشخص الطرازى المعاصر والتصويرات المماثلة فى الفن الشائع أن الرسامين والشعراء الذين يؤلفون فنًا « جادًا » إنماهم أعضاء فى نوع من الثقافة الفرعية وأنهم يمثلون جماعة محددة . وبغض النظر عن مدى صحة هذا التفسير . فإن هذه الدراسة تمثل أملا كبيرًا ولاشك . باعتبارها تجديدًا فى مناهج البحث يمكن أن يتيح للدارسين التعرف على – وربما كذلك تقييم – تطابق المعنى فى نفس الوقت لدى الفنون المختلفة .

وقد أجريت عدة دراسات عن العلاقات بين الفن والمجتمع تتضمن استخدام أساليب كمية وتتناول هذه الدراسات فن الأدب . وتمثل أملا كبيرًا من حيث المناهج ، كما أنها طريفة بالنظر إلى النتائج التى توصلت إليها . وقد حاولت روث إنجليز Inglis على سبيل المثال – التحقق من الزمنية للمؤثرات الاجتماعية بالنسبة للمؤثرات الأدبية ، وذلك عن طريق تحليل نوع الخصائص الاقتصادية والمهنية لبطلات الروايات الشائعة . وقد درست بضع مئات من الروايات التى ظهرت فى إحدى المجلات الكبرى ذات الانتشار الجماهيرى على مدى خمس وثلاثين سنة . وقارنت النمط الذى استخرجته من هذه المصادر بالتغيرات التى حدثت فى نفس خصائص المرأة الأمريكية من نفس العمر كما تتضح من بيانات التعداد وقد توصلت إلى أن : « اتجاه الخصائص فى الروايات كان متخلفًا بحوالى عشر سنوات عن الاتجاه الفعلى » [١٨] وتؤيد هذه الدراسة القضية التى تقول إن الأدب – على الأقل فى النوع الجماهيرى منه – يعكس التغيرات التى تحدث فى المجتمع لابسببها عن طريق دفع القراء إلى تقليد شخصيات الرواية .

وقد قام برلسون Berelson وسولتر Salter – فى دراسة لهما بعنوان : « الأمريكيون الأغلبية والأقلية » بتحليل حوالى مائتى قصة قصيرة نشرت فى ثمانى مجلات جماهيرية على مدى عامين . وقد وجدا أن التصوير الروائى لأبناء جماعات (الأقلية) كان دائمًا أقل إيجابية من تصوير الأمريكيين « الأغلبية » . . . أقصد الأمريكيين البيض . البروتستانت . المتحدثين بالإنجليزية ، والمنحدرين من أصل أنجلو ساكسونى[١٩] . وقد عرضت هذه النتائج بطريقة كمية تبرز الاختلافات فى التصوير الأدبى للأمريكيين الأغلبية والأقلية . وعلى الرغم من أهمية النتائج بطريقة كمية تبرز الأختلافات فى التصوير الأدبى للأمريكيين الأغلبية والأقلية . وعلى الرغم من أهمية النتائج التى انتهت إليها هذه الدراسة ، إلا أن المؤلفين قد أخفقا فى إثبات رأيهما بأن التصوير السيء لجماعات الأقلية فى الروايات الجماهيرية الأمريكية يدعم الصور النمطية الموجودة ومن ثم يشكل الإتجاهات الاجتماعية . ولانعرف حتى الآن كيف يستجيب الأفراد للرواية ، وكيف يتمثلون المعايير ، والاتجاهات والقيم الواردة فيها فى عقولهم وعواطفهم . وربما كان للرواية الأدبية تأثير كبير كوسيلة من وسائل الضبط الاجتماعى . إلا أن هذا الرأى مازال حتى الآن مجرد فرض أكثر منه حقيقة ثابتة . ولابد من ابتكار وسيلة جديدة لمعالجة هذه المشكلة على نحو مرض .

وقد نشر ميلتون البرشت Albrecnt مؤخرًا مقالا هامًا تعرض فيه لنتائج محاولة اختبار الفرض الذى يقول إن الأدب يعكس القيم الثقافية . وخاصة قيم الأسرة[٢٠] . وقد تم وضع مجموعة متكاملة من القيم الأسرية من واقع عدد من دراسات الاجتماع العائلى لتستخدم كأساس للمقارنة مع القيم التى اكتشفت فى المواد الروائية الأدبية . وقد درست مجموعة مكونة من ١٥٣ . قصة قصيرة مختارة من المجلات تم تصنيفها طبقًا لبعض المعايير الفنية بحيث تمثل مستويات ثقافية مختلفة . وقد درست من حيث تمسكها أو رفضها للقيم الواردة فى المجموعة المشار إليها . واستخرج البرشت النسب المئوية للتمسك بمجموعة القيم العائلية أو رفضها كما تبدو فى القصص القصيرة . اكتشف وجود أنماط متميزة تختلف تبعًا للمستويات الثقافية . وتوصل إلى إثبات فرضه العام . إلا أن تواتر الموضوعات التى فى القصص لم يكن شاهدًا كافيًا على انتشار قيم عامة . وتدل هذه الدراسة على براعة فائقة فى تصميم البحوث ، كما تبين أن البحث يمكن أن يتناول موضوعات غير ملموسة كالقيم . وذلك إذا ماأمكن تحديد الوحدات الكيفية تحديدا دقيقًا ، وإذا ماأمكن استخدام المنطق والإحصاء بإدراك كامل لإمكانياتهما وحدودهما .

ومن الدراسات الحديثة المفيدة فى سوسيولوجيا الأدب دراسة لوفنتال Lowenthal بعنوان : « الأدب وصورة الإنسان »[٢١] . ويمثل هذا الكتاب تحليلا وتفسيرًا سوسيولوجيًا

لمختارات من الروايات والمسرحيات التى ألفها كتاب أوربيون فى الفترة من ١٦٠٠ إلى ١٩٠٠ ، من بينها بعض أعمال لمشاهير الكتاب الأسبان والفرنسيين ، ومسرحية لشكسبير ، وروايتان لجوته . وعدة مسرحيات لإبسن ، وروايات هامسون Hamsun . والقضية الرئيسية عند لوفنتال أن الكتاب المبدعين يصورون بشكل مقنع – ومن خلال اختيارهم غير الشعورى غالبًا للحبكة الروائية ، ورسم الشخصيات ، وتصوير البيئة ، والتأكيد على القيم – علاقة الإنسان بمجتمعه وعصره . وهكذا يمدنا الأدب الخلاق بنوع من الوثائق التى تفيد فى دراسة البناء الاجتماعى والتغير الثقافى . إلا أن لوفنتال يتجاوز هذه النقطة ليدافع عن الرأى الذى مؤداه أن الكتاب المبدعين يتمتعون بحساسية عالية للتغيرات الأولى فى علاقة الإنسان بمجتمعه ، وغالبًا مايعكسون هذا الوعى فى أعمالهم . وهكذا نجد أن إمعان النظر فى كتاباتهم يمكن أن يكون ذا أهمية خاصة لدارسى التغير الاجتماعى .

والحق أن هذه قضية أخاذة ، واتجاه لوفنتال السوسيولوجى فى دراسة الأدب مفيد وحافز إلى مزيد من الدراسات ، وهو يطبق الخيال على بعض المشكلات السوسيولوجية الهامة ويهتم بالجوانب الفريدة المتعلقة بالقيم لابالجوانب المتكررة التى يمكن قياسها فى هذا النوع من الفن . وبوسع الدراسة السوسيولوجية للأدب أن تستفيد الكثير من نوع دراسات لوفنتال هذه إلا أنه يجب الإشارة – على أى حال – إلى أنه قد أهمل أو تجاهل تمامًا بعض الموضوعات مثل الحالات السالبة ، ودرجة تمثيل العينة وتحقيق المواد الأدبية بمواد غير أدبية .

نظرة إلى المستقبل :

يحتاج عالم الاجتماع اليوم إلى أسلوب مختلف فى معالجة مشكلة العلاقة بين الفن والمجتمع . فقد ظلت دراسات علماء الاجتماع فى هذا الميدان – وحتى وقت قريب جدًا – موجهة كلية تقريبًا إلى أعمال فنية فى ميادين الأدب ، والموسيقى ، والفنون المرئية – وبشكل عارض – المسرح والرقص أيضًا . ولقد حان الوقت لكى يهجر علماء الاجتماع هذا التركيز المحدود على الأعمال الفنية ، ويبارون الدارسين فى فروع أخرى بتوسع نطاق اهتمامهم ليشمل الفنانين وجمهور الفن أيضًا[٢٢] . ولايمكن أن يتم هذا إلا إذا فهم على أنه عملية يمثل فيها كل من الفنان والعمل الفنى ، وجمهور الفن عناصر متفاعلة مع بعضها . وهكذا فالفنان – من وجهة نظر علم الاجتماع – يولد فى مجتمع ذى ثقافة خاصة ، وينشئه مجتمعه تنشئة اجتماعية بطريقة تؤثر فى شخصيته ، كما تؤثر – بوجه خاص – فى اتجاهاته إزاء الفن ودخوله إلى العالم الفنى عن طريق التدريب الرسمى أو التلمذة . أو

جهوده الفردية . وماإن يتخذ الفنان الفرد الفن حرفة له ، حتى نجده يعمل فى الفرع الذى اختاره ، مستخدما الأساليب الفنية ، والتراث ، والقيم ، والمواد التى يقدمها له مجتمعه . فهذه الأشياء « تنقل » اجتماعيًا ، وعلى الفنان أن يستخدمها أو أن يبتكر أساليب جديدة يعبر بها عن آرائه ، وقيمه ، وعواطفه الفنية .

وإذا ماأراد أن يعيش كفنان . فلابد ألا تقتصر الأعمال الفنية التى يبدعها – سواء كانت أدبا أو موسيقى أو فنونًا مرئية – على التعبير عما يؤمن به فقط من حيث الشكل الجمالى ، وإنما يجب كذلك أن تخلق رد فعل مناسبًا لدى جزء على الأقل من جمهور الفن . ولكى يتوصل إلى هذا يجب أن يجذب انتباه جمهور معين . ويفرض هذا بدوره الاتصال المستمر بالمؤسسات والأجهزة المختلفة العاملة فى هذا الميدان ، مثل المعارض الفنية ، ودور النشر ، ولجان مديرى الأوركسترات السيمفونية . ذلك أن هذه الأجهزة قادرة على تحديد أى الأعمال الفنية يمكن أن يكون قادرًا على التأثير فى جماهير الفن . واستجابة الجماهير . بل واستجابة النقاد كذلك – الذين يريدون العمل « كقادة للذوق » على نطاق واسع – هى التى تحدد بشكل مباشر مصير العمل الفنى . وقد تدفع الفنان إلى أن يغير أسلوبه فى الرسم ، أو الكتابة أو التأليف الموسيقى . وهناك – على سبيل المثال – بعض الدلائل التى تشير إلى أن بعض الرسامين الأمريكيين الشبان يتبعون الأسلوب التجريدى فى الرسم لاعن اقتناع فنى وتفضيل لهذا اللون ، وإنما لأن كثيرًا من المعارض سوف لاتعرض أو تشترى سوى هذا النوع من الرسم[٢٣] . وخلاصة القول أن الإعداد الأولى للفنان الفرد . وتدريبه ، وحياته العملية كفنان مبدع ، وأعماله أو إنجازاته الفنية واستجابة الجمهور لها يمكن أن تعتبر جميعًا جوانب أو عناصر فى العملية الفنية Art Process .

وعلى عالم الاجتماع أن يوجه جهوده نحو دراسة منهجية منظمة للجوانب المختلفة لهذه العملية ، وربما ركز على العلاقات الاجتماعية ، والأبنية الاجتماعية ، والمعايير والأدوار التى تتميز بها مهنة الفنان . وعلينا أن نقر هنا أن هذا النوع من المعالجة يناسب بدرجة أكبر دراسة العملية الفنية فى المجتمع الغربى المعاصر عنها فى المجتمعات التى لم تعرف بعد القراءة والكتابة . إذ يحتل الفن فى هذه المجتمعات مكانة مختلفة . كما يتميز دور الحرفى الفنان بخصائص مختلفة . إلا أن الدراسات المقارنة للفنانين ، والعمل الفنى ، وجماهير الفن فى المجتمعات المختلفة – المتقدم منها والمتخلف – سوف تلقى مزيدًا من الضوء ولاشك على هذه المشكلة[٢٤] .

ومن الأساليب المفيدة فى هذه الدراسة تجزئ ميدان الفن العام إلى فنون مستقلة ، ودراسة كل منها على حدة . وسوف يمكن هذا الأسلوب عالم الاجتماع أن يأخذ فى اعتباره الحقيقة التى مؤداها

أن للفنون المختلفة « ثقافات » فنية متمايزة ، كما سينتبه إلى احتمال وجود اختلافات كبيرة – داخل نفس المجتمع فى خلال فترة معينة – بين الظروف الاجتماعية للفنان المبدع فى الموسيقى ، والأدب ، والفنون . فليس من الضرورى أن تلقى الفنون المختلفة قدرًا متساويًا من الاعتراف والتأييد العام فى نفس الوقت . وهكذا يمكن أن تختلف طبيعة العملية الفنية فى أحد الفنون اختلافًا واضحًا عنها فى فن آخر . ونشير هنا – على سبيل المثال – إلى ماحققه « معرض أرمورى » الشهير فى نيويورك عام ١٩١٣ من جذب انتباه الجمهور إلى الرسم الحديث وكسب تأييد صفوة قليلة العدد ولكنها قوية التأثير ؛ وذلك قبل سنوات من استطاعة الموسيقى الحديثة اكتساب مثل هذا التقدير فى الولايات المتحدة [٢٥] . ولذلك يجب دراسة مسألة التطورات المتوازية فى الفنون المختلفة ، وعدم أخذها كأمور بديهية مسلم بها .

ويواجه عالم الاجتماع مشكلة عويصة فى دراسة الفنون لايسعه حلها إلا بالتعاون المخلص من جانب مؤرخ الفن والناقد الفنى . تلك هى مشكلة تحديد الأعمال الفنية « الجادة » الجديرة بالدراسة ، ثم تحديد مكانها فى سياق التطور التاريخى لنوع معين من أنواع الفنون . ولن يستطيع عالم الاجتماع – عادة – دون هذه المساعدة من جانب أصحاب المعرفة التكنية بالفنون أن يميز بين مسائل الأسلوب ، والصورة . والموضوع وغير ذلك مما يعكس مؤثرات اجتماعية وثقافية هامة . أو يعبر فقط عن التقاليد الجمالية السائدة فى فن معين فى وقت معين . فالفنانون يقلدون قادة فنهم كما يبدعون صورًا خاصة لما يجدونه متميزًا فى عالم التجربة . ولن يستطيع التمييز بين الفن المقلد والفن المبدع سوى أولئك المتمرسين بالتطور الجمالى فى فن من الفنون .

ومن الصعوبات العملية التى يواجهها عالم اجتماع الفن رفض الفنانين – فى بعض الأحيان – إجراء دراسات « موضوعية » لهم ولإنتاجهم الفنى . وقد اكتشف ناش هذه المشكلة فى دراسته للمؤلفين الموسيقيين . ويمكن توقع صعوبات مماثلة لمن يقومون بدراسات سوسيولوجية على فنانين من ميادين أخرى .

وختامًا يجب على عالم الاجتماع الذى يقوم بدراسة الفنون أن يواجه السؤال التالى : أى أنواع الإنتاج الخلاق يمكن إدراجها تحت باب « الفنون » ، وأى الفنون يعتبر هامشيًا ، وأيها ينتمى إلى بعض جوانب التراث الثقافى الأخرى ؟ والرأى عندنا أن نتبنى موقفًا مرنًا فى هذا الصدد . ونتجنب الالتزام بنظام تصنيفى صارم . وتمثل الفنون الجميلة – الموسيقى ، والأدب ، والرسم ، والنحت ، والعمارة – النواة التقليدية للفن البحت فى الثقافة الغربية ، ومن ثم تمثل البؤرة الأساسية لدراسة عالم الاجتماع فى هذا الميدان . ولو أنه من الحكمة أن نسلم بأن فنون الرقص

الحديث والمسرح « الجاد » يمكن أن تدرج أيضًا تحت باب الفنون البحتة . إذ استطاعت أن تخلق صورًا جمالية معينة يحاول الفنان من خلالها تجسيد وتوصيل بعض التجارب . ويبدو أن الفنون التطبيقية – كالخزف وتصميم المنسوجات – تفتقر إلى هدف التوصيل هذا ، إذ تبرز – بدلا من هذا – أهمية وجود تصميمات وأسطح مرضية من الناحية الجمالية . وتبدو قدرة هذه الفنون التطبيقية على الرمز لعواطف وأفكار معقدة ومجردة من خلال صور جمالية ولو أن الفنون التطبيقية يمكن أن تمدنا بميدان خصب لدراسة وظائف جماهير الفن داخل العملية الفنية الشاملة . فدراسة الجماهير التى تقتنى أثاثًا ذا تصميم إيطالى ، أو إسكندنافى ، أو « مودرن » مثلا يمكن أن تلقى بعض الضوء على أساليب التسلق الاجتماعى ، وكذلك على الطابع المتغير لذوق الجمهور .

وتمثل وسائل الاتصال الجمعى مشكلة أخرى لعالم الاجتماع . إذ تحاول قصة المجلة ، أو التمثيلية الإذاعية ، أو التمثيلية التلفزيونية ، أو الفيلم السينمائى فى بعض الأحيان أن تذهب إلى أبعد من وظيفة التسلية ، فتسعى إلى التعبير عن أفكار وعواطف ليست مجرد انعكاسات تسجيلية للحياة اليومية . والملاحظ بالنسبة لمعظم وسائل التسلية الجماهيرية أنها تسعى أساسًا إلى الإرضاء ، والتسلية والتثقيف معتمدة على الحوادث المألوفة والأنماط الاعتقادية والسلوكية التقليدية . ولكنها تعمد فى بعض الأحيان إلى نقد ، وتقييم وتقديم تفسيرات جديدة « للواقع الإنسانى » . وهنا يمكن أن تكتسب طبيعة فنية . ومما لاجدال فيه أن هذه الوسائل الجماهيرية ذات أهمية هائلة بالنسبة للمجتمع المعاصر كأدوات للاتصال الاجتماعى ، وفى بعض الأحيان كأشكال فنية من نوع خاص . وهناك علاوة على هذا – وكما أشار مونرو Munro تغيرات كبيرة فى أساليب ومواد كثير من الفنون الهامشية ، وليس من الحكمة فى شئ قصر ميدان الفن على أنواع قليلة من أوجه النشاط .

أما بالنسبة للوقت الحاضر فعلماء اجتماع الفن فى حاجة إلى إجراء كثير من الدراسات التوضيحية والوصفية الصريحة من أجل تحديد الأبعاد العامة لهذا الميدان ، عندئذ فقط سيكون من الممكن وضع واختبار فروض معينة ، يمكن أن تقودنا إلى تعميمات تصدق على جميع أنواع الفنون أو على بعض منها بالذات . وبعد اجتياز هذه المرحلة بدورها سيصبح من الممكن أن نخلص من معرفتنا بالفنان ، والعمل الفنى ، وجمهور الفن إلى نتائج ستساهم فى المعرفة العلمية بالمجتمع والثقافة .

الحواشي

(١) Madame de Staël, De la littérature considerée dans ses rapports avec les institutions sociales, Paris, 1800.

(٢) Karl Marx and Frederick Engels, Literature and Art, International, 1947, Chapt. I.

(٣) Louis Harap, Social Roots of the Arts, International, 1949, p. 83.

(٤) Ernst Grosse, The Beginnings of Art, Appleton, 1914, p. 311.

(٥) Herbert Spencer, The Principles of Psychology, Appleton, 1882, Vol. II, pp. 629 f.

(٦) Horace Kallen, Art and Freedom, Duell, Sloane and Pearce, 1942, Vol. II, p. 568.

(٧) Hippolyte Taine, History of English Literature, Henry Holt, 1886, Vol. I, p. 30.

(٨) Harry Levin, "Literature as an institution", in Mark Schover et al. (eds), Criticism -- The Foundations of Modern Literary Judgement, Harrcourt, Brace, 1948, p. 546.

(٩) Kallon, op. cit., P. 601.

(١٠) لمناقشة هذه المشكلة كما تناولها بعض مفكرى القرن التاسع عشر الآخرين . انظر :

H.A. Needham, le Ddveloppement de l'Esthétique Sociologique en France et en Angletere au XIXc. Siècle, Paris, 1926.

(١١) للوقوف على صياغة أحدث لآرائه فى هذا الموضوع انظر شارل لالو :

Charles Lalo, "Méthodes et objects de l'esthetique sociologique", Revue internationale de Philosophie, 3 (1949), 5-42 (Brussels).

(١٢) نذكر منها على سبيل المثال :

H. Sautermann, "Soziologie der Kunst", in Karl Dunkmann (ed.), Lehubrch der Soziologie und Sozialphilosophie, Berlin, 1931, pp. 308-33; M. Mieerendorff and H. Tost., "Grundlagen einer Kunstsoziologie", in Kolner Zeitscdrift für Soziologie, I (1953-54) 1-15; E. Souriau, "L'Art et la vie sociale", in Cahiers Internationaux de Sociologie, 5 (1948), 66-96; Lucio Mendieta y Nunez. "Sociologia del l'Art", in Revista Mexicana de Sociologia, 19 (1957), 67-84; V. Loos, Samhaller och Bildkonsten, Stockholm, 1948.

(١٣) Pitirim Sorokin, Social and Cultural Dynamics, Vol. I, Fluctuations of Forms of Art, American Book, 1937.

(١٤) John H. Muller, The American Symphony Orchestra: A Social History of Musical Taste, Indiana University Press, 1952.

(١٥) Robert N. Wilson, The American Poet: A Role Investigation, Ph. D. dissertation, Harvard University,

(١٦) Dennison J. Nash, The American Composer, Ph. D. dissertation, University of Pennsylvania, 1954; "The Socialization of an Artist: The American Composer", Social Forces, 35 (1957), 307-13.

(١٧) Jiri Kolaja and Robert N. Wilson, "The Themes of Social Isolation in American Painting and Poetry", Aesthetics and Art Criticism, 13 : 1 (1954), 37-45.

(١٨) Ruth Inglis, "An Objective Approach to the Relationships Between Fiction and Society", American Sociological Review, 3:4 (1938), 630.

(١٩) Bernard Berelson and Patricia Salter, "Majority and Minority Americans", Public Opinion Quarterly, 10 (1946), 168-90.

(٢٠) Milton Albercht, "Does Literature Reflect Common Values?" American Sociological Review, 21 6 (1956), 722-29.

(٢١) Leo Lowenthal, Literature and the Image of Man, Beacon Press, 1957.

(٢٢) See R. Wellek and A. Warren, Theory of Literature, Harcourt, Brace 1955.

(٢٣) See. R. Wellek and A. Warren, Theory of Literature, Harcourt Brace, 1955, Chap. 9

(٢٤) Bernard S. Myers, Problems of the Younger American Artist, City College Press, (N.Y.) 1957, Chap. 2.

(٢٥) See George Mills, "Art: An Introduction to Qualitative Anthropology", Aesthetics and Art Criticism, 16 (1957), 1-17.

(٢٦) See John I.H. Baur, Revolution and Tradition in Modern American Art, Harvard University Press, 1951, pp. 5 f.

(٢٧) Thomas Munro, The Arts and Their Interelations, Liberal Arts Press, 1949.

مراجع مختارة

Abell, Walter, The Collective Dream in Art, Harvard University Press, 1957.
Albert, Milton, "Does Literature Refflect Common Values?" American Sociological Review, 21 : 6 (1956), 722-29.
—, "The Relationship of literature and Society", American journal of Sokoloy,59 :5 1954),25-36.
Auerbach, Erich, Mimesis: The Representation of Reality in Western Literature, Doubleday, 1957.
Barnet, James, Divorce and The American Divorce Nnvel, 1858 1937, Ph. D. dissertation, University of Pennsylvania, 1939.
—,"Research Areas in the Sociology of Art", Sociology and Social Research, 42 : 6 (1958), 401-05.
Baur, Johan, Revolution and Tradition in Modern American Art, Harvard University Press, 1951.
Boas, Franz, Primitive Art, Dover Publications, 1955.
Cowley, Malcolm, The Literary Situation, Viking, 1954.
De Voto. Bernard, The literary Fallacy. Little, Brown, 1944.
Duncan, Hugh Dalziel, Language and Literature in Society, University of Chicago Press, 1953.
Edman, Irwin, Arts and the Man, New American Library, 1949.
Cottschalk, D.W., art ant the social Order, University of Chicago of Chicago Press, 1947.
Hauser, Arnold, The Social History of Art, Vintage Books, 1957, 2 vols.
Kahn, Scholom, Science and Aesthetic judgement, Columbia University Press, 1953.
Kohn Bramstedt Ernst, Aristocracy and the Middle Calsseses in Germany: Social types in German Literature, 1930-1900, P.S. King and Son, 1937.
Lalo, Charles, L'art et la Vie Sociale, Paris, 1921.
Les, Q.D., Finction and the Reading Public, Chatto and Windus, 1932.
Lownthal, Leo, Litarature and the Image of man: Sociological Studies of the European Drama and Novel, 1600-1900, Beacon Press, 1957.
lynes, Russell, The Tastemakers, Harper, 1954.
Mueller, John. H., The American Symphony Orchestra: A Social History of Musical Taste, Indiana University Press, 1951.
Mukerjee Radhakamal, The Social Function of Art, Philosophical Library, 1954.
Munro, Thomas, The Arts and their interrelations, Liberal Arts Press, 1949.
Nash, Dennson, The American Composer, Ph. D. dissertation, University of Pennsylvania, 1954.

Panofsky, Erwin, Meaning in the Visual Arts, Doubleday, 1955.
Plekhanov, G.V.M Art and Social Life, Lawrence and Wishart, Ltd, f 1953.
Powel, CL., English Domestic Relations, 1487-1653, Ph. D. dissertation, Columbia University, 1917.
Read, herbert, Art and Society, Macmillan, 1937.
Schucking, Levin, The Sociology of literary Taste, Routledge and Kegan Paul, 1944.
Swter, A.C., "The Possibilities of a Sociology of Art", Social. Rev. 27 (1935), 441-53.
Silbermann, Alphonse, Introduction à une Sociologie de la Musique, Presses Universitaires de France, 1955.
—, La musique, La Radio et l'Auditeur, Presses Universitaires de France, 1954.
Weber, Max, The Rational and Social Foundations fo Music, Carbordale Southern Illinois University press. 1958.
Wellek, René, and Austin Warren, Theory of Literature, Harcourt, Brace, 1956.
Wilson, Robert N., The American Poet: A Role Investigation, Ph. D. dissertation, Harvard University, 1952.

سلسلة علم الاجتماع المعاصر

صدر منها :

الكتاب الأول : ميادين علم الاجتماع :

اختيار وترجمة الدكاترة محمد الجوهرى وعلياء شكرى ومحمود عودة ومحمد على محمد والسيد الحسينى ، دار المعارف ، الطبعة الخامسة ، القاهرة ، ١٩٧٩ .

الكتاب الثانى : نظرية علم الاجتماع :

تأليف نيقولا تيماشيف ، ترجمة الدكاترة محمود عودة ومحمد الجوهرى ومحمد على محمد والسيد الحسينى ، دار المعارف ، الطبعة السادسة ، القاهرة ، ١٩٨٠ .

الكتاب الثالث : أساليب الاتصال والتغير الاجتماعى :

تأليف الدكتور محمود عودة ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٧٠ .

الكتاب الرابع : تمهيد فى علم الاجتماع :

تأليف بوتومور ، ترجمة الدكاترة محمد الجوهرى وعلياء شكرى ومحمد على محمد والسيد الحسينى ، دار المعارف ، الطبعة الخامسة ، القاهرة ، ١٩٨١ .

الكتاب الخامس : مجتمع المصنع : دراسة فى علم اجتماع التنظيم :

تأليف الدكتور محمد على محمد ، الهيئة العامة للكتاب بالاسكندرية ، ١٩٧٢ .

الكتاب السادس : الصفوة والمجتمع :

تأليف بوتومور ، ترجمة الدكاترة محمد الجوهرى وعلياء شكرى والسيد الحسينى ومحمد على محمد ، الطبعة الثانية ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٧٨ .

الكتاب السابع : الطبقات فى المجتمع الحديث :

تأليف بوتومور ، ترجمة الدكاترة محمد الجوهرى وعلياء شكرى ومحمد على محمد والسيد الحسينى ، الطبعة الثالثة ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨١ .

الكتاب الثامن : علم الاجتماع الفرنسى المعاصر :

تأليف الدكتورة علياء شكرى ، الطبعة الثانية ، دار الكتاب للتوزيع ، القاهرة ، ١٩٧٩ .

الكتاب التاسع : قراءات معاصرة فى علم الاجتماع :

للدكاترة علياء شكرى ومحمد على محمد ومحمد الجوهرى ، الطبعة الثانية ، دار الكتاب للتوزيع ، القاهرة ، ١٩٧٩ .

الكتاب العاشر : دراسات فى التنمية الاجتماعية :

تأليف الدكاترة السيد الحسينى ومحمد على محمد وعلياء شكرى ومحمد الجوهرى ، الطبعة الرابعة ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٧٩ .

الكتاب الحادى عشر : مشكلات أساسية فى النظرية الاجتماعية :

تأليف جون ركس ، ترجمة الدكاترة محمد الجوهرى ومحمد سعيد فرح ومحمد على محمد والسيد الحسينى ، منشأة المعارف ، الاسكندرية ، ١٩٧٣ .

الكتاب الثانى عشر : التغير الاجتماعى :

تأليف الدكتور محمد الجوهرى وآخرين ، الطبعة الثانية ، دار المعارف ، ١٩٨١ .

الكتاب الثالث عشر : دراسة علم الاجتماع :

اختيار وترجمة الدكاترة محمد الجوهرى وعلياء شكرى ومحمد على محمد والسيد الحسينى ، الطبعة الرابعة ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨١ .

الكتاب الرابع عشر : علم الاجتماع الريفى والحضرى :
للدكتور محمد الجوهرى والدكتورة علياء شكرى ، الطبعة الأولى ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨٠ .

الكتاب الخامس عشر : مقدمة فى علم الاجتماع :
تأليف الكس انكلز ، ترجمة وتقديم الدكاترة محمد الجوهرى وعلياء شكرى والسيد الحسينى ومحمد على محمد ، الطبعة الخامسة ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨١ .

الكتاب السادس عشر : مقدمة فى علم الاجتماع الصناعى :
تأليف الدكتور محمد الجوهرى ، دار الكتاب للتوزيع ، الطبعة الثانية ، القاهرة ، ١٩٧٩ .

الكتاب السابع عشر : علم الفولكلور :الجزء الأول :
تأليف الدكتور محمد الجوهرى ، الطبعة الرابعة ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨١ .

الكتاب الثامن عشر : النظرية الاجتماعية ودراسة التنظيم :
تأليف الدكتور السيد الحسينى ، الطبعة الثالثة ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨١ .

الكتاب التاسع عشر : مصادر دراسة الفولكلور العربى :
إشراف الدكتور محمد الجوهرى ، دار الكتاب للتوزيع ، القاهرة ، ١٩٧٨ .

الكتاب العشرون : الدراسة العلمية للمعتقدات الشعبية :
إشراف الدكتور محمد الجوهرى ، دار الكتاب للتوزيع ، القاهرة ، ١٩٧٨ .

الكتاب الحادى والعشرون : علم الاجتماع وقضايا التنمية فى العالم الثالث :
تأليف الدكتور محمد الجوهرى ، الطبعة الثالثة ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨١

الكتاب الثانى والعشرون : علم الفولكلور ، الجزء الثانى ، دراسة المعتقدات الشعبية :
تأليف الدكتور محمد الجوهرى ، الطبعة الأولى ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨٠ .

الكتاب الثالث والعشرون : بعض ملامح التغير الاجتماعى الثقافى فى الوطن العربى ، دراسات ميدانية لثقافة بعض المجتمعات المحلية فى المملكة العربية السعودية :
تأليف الدكتورة علياء شكرى ، الطبعة الأولى ، دار الكتاب للتوزيع ، القاهرة ، ١٩٧٩ .

الكتاب الرابع والعشرون : التراث الشعبى المصرى فى المكتبة الأوربية :
تأليف الدكتورة علياء شكرى ، دار الكتاب للتوزيع ، القاهرة ، ١٩٧٩ .

الكتاب الخامس والعشرون : الاتجاهات المعاصرة فى دراسة الاسرة :
تأليف الدكتورة علياء شكرى ، الطبعة الثانية ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨١ .

الكتاب السادس والعشرون : دراسات معاصرة فى علم الاجتماع :
تأليف الدكتورة علياء شكرى ، دار المعارف ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٩٨١ .

الكتاب السابع والعشرون : عادات الطعام فى الوطن العربى :
تأليف الدكتورة علياء شكرى ، تحت الطبع .

الكتاب الثامن والعشرون : الفلاحون والدولة :
تأليف الدكتور محمود عودة ، دار الثقافة للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٧٩ .

الكتاب التاسع والعشرون : تاريخ علم الاجتماع : الجزء الأول :
تأليف الدكتور محمد على محمد ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ، ١٩٧٩ .

الكتاب الثلاثون : علم الاجتماع والمنهج العلمى :
تأليف الدكتور محمد على محمد ، الطبعة الثانية ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ، ١٩٧٩ .

الكتاب الحادى والثلاثون : أصول علم الاجتماع السياسى :
تأليف الدكتور محمد على محمد ، الطبعة الأولى ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ، ١٩٨٠ .

الكتاب الثانى والثلاثون : جماعات الفجر مع اشارة لفجر مصر والبلاد العربية :
تأليف الدكتور نبيل صبحى حنا ، الطبعة الأولى ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨٠ .

الكتاب الثالث والثلاثون : الانثروبولوجيا : أسس نظرية وتطبيقات عملية :
تأليف الدكتور محمد الجوهرى ، الطبعة الثالثة ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨٠ .

الكتاب الرابع والثلاثون : علم الاجتماع السياسى : المفاهيم والقضايا :
تأليف الدكتور السيد الحسينى ، الطبعة الثانية ، دار المعارف ، ١٩٨١ .

الكتاب الخامس والثلاثون : علم الاجتماع العسكرى : التحليل السوسيولوجى لنسق السلطة العسكرية :
تأليف الدكتور أحمد خضر ، الطبعة الأولى ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨٠ .

الكتاب السادس والثلاثون : الفكر الاجتماعى : نظرة تاريخية عالمية :
تأليف هايتز موس ، ترجمة الدكتور السيد الحسينى والدكتورة جهينة سلطان العيسى ، الطبعة الثانية ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨١ .

الكتاب السابع والثلاثون : التنمية والتخلف : دراسة تاريخية بنائية :
تأليف الدكتور السيد الحسينى ، الطبعة الثانية ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨٢ .

الكتاب الثامن والثلاثون : المدينة : دراسة فى علم الاجتماع الحضرى :
تأليف الدكتور السيد الحسينى ، الطبعة الثانية ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨١ .

الكتاب التاسع والثلاثون : النظرية الاجتماعية المعاصرة : دراسة لعلاقة الانسان بالمجتمع :
تأليف الدكتور على ليلة ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨١ .

الكتاب الأربعون : علم الاجتماع بين الاتجاهات الكلاسيكية والنقدية :
تأليف الدكتور أحمد زايد ، الطبعة الأولى ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨١ .

الكتاب الحادى والأربعون : البناء السياسى فى الريف المصرى : تحليل لجماعات الصفوة القديمة والجديدة :
تأليف الدكتور أحمد زايد ، الطبعة الأولى ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨١ .

الكتاب الثانى والأربعون : علم الاجتماع الامريكى : دراسة لاعمال تالكوت بارسونز :
تأليف جى روشيه ، ترجمة الدكتور محمد الجوهرى والدكتور أحمد زايد ، الطبعة الأولى ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨١ .

الكتاب الثالث والأربعون : البنائية الوظيفية فى علم الاجتماع والانثروبولوجيا : المفاهيم والقضايا :
تأليف الدكتور على ليلة ، الطبعة الأولى ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨٢ .

الكتاب الرابع والأربعون : علم الاجتماع والنقد الاجتماعى :
تأليف بوتومور ، ترجمة الدكاترة محمد الجوهرى والسيد الحسينى وعلى ليلة وأحمد زايد ، الطبعة الأولى ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨١ .

الكتاب الخامس والأربعون : الاقتصاد والمجتمع فى العالم الثالث : تحرير الن مونتجوى :

ترجمة الدكاترة محمد الجوهرى وعلى ليلة وأحمد زايد ، دار المعارف ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٢ .

الكتاب السادس والأربعون : وقت الفراغ فى المجتمع الحديث :

تأليف الدكتور محمد على محمد ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ، ١٩٨١ .

الكتاب السابع والأربعون : علم الاجتماع :

تأليف جونسون ، ترجمة وتعليق الدكاترة علياء شكرى ومحمد الجوهرى وعلى ليلة وأحمد زايد وحسن الخولى . دار المعارف ، تحت الطبع .

الكتاب الثامن والأربعون : الريف والمدينة فى مجتمعات العالم الثالث :

مدخل اجتماعى ثقافى ، تأليف الدكتور حسن الخولى . دار المعارف ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٢ .

الكتاب التاسع والأربعون : المرأة المصرية بين البيت والعمل :

تأليف الدكتور محمد سلامة آدم ، دار المعارف ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٢ .

الكتاب الخمسون : النظرية الاجتماعية فى الفكر الإسلامى :

تأليف الدكتوره زينب رضوان ، دار المعارف ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٢

الكتاب الحادى والخمسون : نحو نظرية اجتماعية نقدية :

تأليف الدكتور السيد الحسينى ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٢